مجلة الإحياء، المجلد 24، العدد: 35، سبتمبر 2024، ص - ص: 401 - 410
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

طوبونيميا المواقع الدفاعية في الأندلس
Toponymy of defensive sites in ALANDALUS

د/ سليم حاج سعد
Salim HADJ SAD
جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي
مخبر بحث التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للجزائر
salim-hadj.sad@univ-eloued.dz

تاريخ الإرسال: 2024/03/17 تاريخ القبول: 2024/06/27

الملخص:
لقد تشكلت مسميات الأماكن في الأندلس بفعل المنطوق الشفوي بمرور الزمن، إن محاولة فهم المعنى الحقيقي لطوبونيميا الأماكن الجغرافية يعد من المسائل المعقدة جدا بالنسبة للدارسين، وذلك لأن تلك المعاني متأصلة في أصل الأسماء الطوبونيمية في حد ذاتها، كما أنها تكون في الغالب تفسيرا لاسم ذلك المكان، لهذا سنتناول في هذا المقال موضوع دلالات الأسماء الجغرافية للمواقع الدفاعية في الأندلس، وهي بمنطوقها الحالي، كما أنها تكون في الغالب تفسيرا لاسم ذلك المكان، وقد يضطرنا التفسير للعودة به وربطه بالتأثيرات اليونانية والرومانية القديمة، والتي بموجبها تحتوي الكلمات على معنى خفي يجب كشفه لمعرفة الحقيقة الخفية للأشياء.
وعليه تتمحور إشكالية هذا المقال عملية تتبع الأسماء الحالية للمواقع الدفاعية في الأندلس وربطها بأصلها الذي استعمله الأندلسيون، ومن هنا تكمن أهمية الدراسة في تغطية بعض العجز الذي يكون في المصادر التاريخية حول تفسير هذه التسميات، وهو الشيء الذي سنحاول تقديمه من خلال هذا المقال في موضوع أسماء المواقع الدفاعية في الأندلس.
الكلمات المفتاحية: طوبونيميا؛ الأندلس؛ الدفاعية؛ الجغرافية؛ الحصون.

Abstract:

The names of places in ALANDALUS were formed by oral language over time. Trying to understand the true meaning of the toponymy of geographical places is a very complex issue for researchers, because those meanings are rooted in the origin of the toponyms themselves, and they are often an explanation for the name of that place. Therefore, in this article, we will discuss the topic of the connotations of geographical names for defensive sites in ALANDALUS, which is in its current pronunciation. It is also often an interpretation of the name of that place, and the interpretation may force us to return to it and link it to ancient Greek and Roman influences, according to which words contain a hidden meaning that must be revealed in order to know. The hidden truth of things.

Accordingly, the problem of this article revolves around the process of tracing the current names of defensive sites in ALANDALUS and linking them to their origin that was used by the Andalusians. Hence, the importance of the study lies in covering some of the deficiency that exists in historical sources regarding the interpretation of these names, which is what we

will try to present through this article on the subject of names. Defensive positions in ALANDALUS.

Key words: Toponemia; ALAndalus; defensiveness; geographical; Fortresses.

مقدمة

لقد تشكلت مسميات الأماكن في الأندلس بفعل المنطوق الشفوي بمرور الزمن، إن محاولة فهم المعنى الحقيقي لطوبونيميا الأماكن الجغرافية يعد من المسائل المعقدة جدا بالنسبة للدارسين، وذلك لأن تلك المعاني متأصلة في أصل الأسماء الطبونيمية في حد ذاتها، كما أنها تكون في الغالب تفسيرا لاسم ذلك المكان، وقد يضطرنا التفسير للعودة به وربطه بالتأثيرات اليونانية والرومانية القديمة، والتي بموجبها تحتوي الكلمات على معنى خفي يجب كشفه لمعرفة الحقيقة الخفية للأشياء، وهكذا حاول Hecateo de Mileto (المتوفي حوالي 550-476 قبل الميلاد)، وهو العالم المشهور الذي تحدث عنه بإسهاب "أبو التاريخ" هيرودوت، استخلاص الحقائق التاريخية من المعاني الحقيقية لأسماء الأشخاص والأماكن، وكذلك قام الفيلسوف Heráclito 535- 584 ق م بتأمل الأسماء ليكتشف حقيقة الأشياء أو جوهرها، ومن هنا بدأت الدراسات حول أسماء المواقع الجغرافية باعتبارها إسقاطًا ضروريًا من الفلسفة لمساعدة علم التاريخ.

في تفسير طوبونيميا الأسماء التي نشأت باللغة العربية طوال فترة العصور الوسطى، تواجه الباحث عقبات لا حصر لها وذلك عندما يتعلق الأمر بالعثور على الأصل الأصلي - وبالتالي المعنى الحقيقي للتسمية - وفي كثير من الأحيان لا يتمكن الباحث من إعطاء تفسير واحد، وإنما قد يتوصل إلى عدد من التفسيرات المنطقية، لهذا السبب ومن الناحية المنهجية، فإنه من الضروري دائمًا الرجوع إلى المصادر الوسيطية والتي قد تحتفظ بعدد أكبر من الإشارات المكتوبة لأسماء الأماكن الجغرافية، وعند تتبع التغيرات التي قد تحدث على هذه الأسماء مع تطور الكتابة واختلاف المصادر يعتبر ذلك في حد ذاته دليلا قاطعا على الصوتيات التي تم بها نطق تلك الأسماء الجغرافية، إن الأدلة الوثائقية لهذا التطور تشكل في حد ذاتها دراسة لعلم اللغة، وعلم تطور الصوتيات، مما سيسمح لنا بالعودة بأمان في اتجاه الماضي، للعثور على الأصل العربي لأسماء الأماكن، وبالتالي سيكون للطوبونيميا مكانتها الخاصة والمهمة في الدراسات اللغوية التاريخية.

ومن ناحية أخرى، فإنه وبمجرد تفسير المعنى الموجود في الإشارات الدلالية لطوبونيميا الأسماء الجغرافية الأندلسية، نتمكن من الحصول على معلومات تاريخية جديدة وموثقة بشكل علمي، هذا إضافة إلى إمكانية تحسينها بشكل أكثر دقة مع المعطيات والنصوص التاريخية الأخرى، حيث تساهم الطوبونيميا مع هذه المراجع وغيرها في تكوين الصورة التاريخية للمكان أو المنطقة في العصور الوسطى.

أولا: الأسماء الجغرافية الأندلسية وبقائها

يقصد بكلمة الطوبونيميا العربية في الأندلس، على أنها أسماء الأماكن التي تم إنشاؤها أو الحفاظ عليها من خلال الأندلسيين، وهي الدليل القوي الذي يوثق وجود مكان أو جيب أو معلم جغرافي يعود إلى تلك الحقبة الزمنية، وعلى أنه حصل على ذلك الاسم من خلال منطوق الأندلسيين في ذلك الزمن، وفي الغالب تكون التسمية مرتبطة بـالأفكار ذات الواقع المباشر لحياتهم اليومية، فالأندلسيون لم يعطوا أسماء خيالية أو استعارات غير قابلة للتصديق لتلك المواقع التي عاشوا فيها أو حتى التي مروا بها، وهو ذات الأمر الذي تذهب إليه الباحثة ماريا خيسوس ريبيرا في العديد من دراساتها وأبحاثها حول طوبونيميا أسماء المواقع الجغرافية الأندلسية في شبه الجزيرة الايبيرية[1]، هذا بالإضافة إلى الدراسات الأركيولوجية إلي كانت في الأندلس والمتعلقة ببقايا البنايات الأندلسية[2].

لا يتم تفسير طوبونيميا المواقع الجغرافية الأندلسية من خلال ارتباطات وتصورات خيالية، ولكن من خلال وصف الحقائق الطبوغرافية والهيدروغرافية، وما إلى ذلك من الارتباطات الوظيفية، والتي يتم تضمينها في أسماء المواقع الجغرافية الأندلسية، فتتشكل التسميات الجغرافية بمرور الوقت من خلال الارتباط الأحادي بين الواقع وذلك المكان، فتتشكل بذلك تسمية الأماكن والمواقع، إلا أن تلك التسمية تفقد دلالتها وصيغتها الأولية مع مرور الزمن، فيصبح من الصعب تفسيرها وتحديدها بعد ذلك.

قام الأندلسيون بتسمية العديد من المناطق الحضرية والريفية بطريقة معينة باستخدام اللغة العربية أو اللهجات المحلية التي تطورت تباعا منها، وكل تسمية سيترتب عنها قصة أو سبب أو حادثة أو حتى صدفة أدت إلى تلك التسمية، ومع مرور الزمن والأجيال تحدث بعض التشوهات على تلك التسمية، فيصبح تحديد طوبونيميا تلك الأسماء ذات الأصل العربي الأندلسي مهمة معقدة، حيث أن المعنى الوصفي الأصلي الذي حدد به المتحدثون الأندلسيون ذلك المكان سوف ينتهي به الأمر إلى التلاشي مع مرور الزمن، ومع الغزو الأراغوني أو القشتالي أو البرتغالي، ستختفي صوتيات اللغات المعنية بتشكيل وتعديل المصطلح العربي الأندلسي الأصلي، فيتغير النطق ليصبح منسجما صوتيا مع اللغة السائدة الجديدة، وبهذا يحدث تشويه الأصل الأندلسي، وتتكرر نفس المشكلة مرة أخرى عندما فُرضت اللغة الإسبانية تدريجيًا في أراضي تاج أراغون السابق، وذلك بعد القرن السابع عشر.

بناء على كل ما سبق ذكره، سنحاول في هذا المقال التطرق إلى طوبونيميا أسماء الفضاءات الدفاعية في الأندلس، وهي كل تلك التي ترتبط بفكرة الدفاع من الحصون والأبراج، كشيء أساسي، إلا أننا نلاحظ أنها لا تكون منفصلة في تموضعها وتركيبها الخططي، وإنما تكون ضمن فضاءات متكاملة من الناحية الوظيفية، وبذلك تشمل العديد من اللواحق المرتبطة بوظيفة الدفاع، ويعني ذلك كل ما يتعلق بمراقبة الكيان السياسي القائم في تلك الفترة، وهي التي تعتبر ضمن الاستراتيجيات العسكرية بأنها "مناطق سيطرة ودفاع"، ويمكننا التعرف على آثارها بناءً على بصمتها الجغرافية للمجالين الدلاليين، اللذين تشابكت حقيقتهما عبر التاريخ الأندلسي. فسنقوم بسرد الأصول الرئيسية التي تشير إلى الحقلين الدلاليين، ونقدم مشتقات الأسماء والطوبونيميا التي أدت إليها، وستشكل جميعا إطارًا مفاهيميًا ومصدرا لمعلومات ذات أهمية بالغة تساعد عند جمعها في بناء التاريخ الأندلسي.

ثانيا: أصول عربية تتعلق بفضاءات الدفاع والسيطرة في الأندلس

على الرغم من أن الطوبونيميا لا تحتوي على قدر كبير من المعطيات والتفاصيل التاريخية مثل علم الآثار، إلا أن الطوبونيميا يمكن أن توفر لنا معلومات وفيرة وقابلة للتحليل حول "فضاءات الدفاع والسيطرة"، وهذا في الحالات التي لا يتم فيها الحفاظ على أي بقايا أثرية لتلك العناصر المراد دراستها، وتكون بيانات الطوبونيميا قابلة للتأريخ تلقائيًا ودون منافسة لأي مصادر أخرى، هذا على الرغم من عدم إمكانية تحديد موقعها الجغرافي الدقيق في كثير من الأحيان، إلا أننا على يقين تام بأنها تعود إلى فترة الوجود الإسلامي في الأندلس، وتفيدنا هذه الأسماء وتحليلها من ناحية الطوبونيميا فيكون ضروريا جدا عندما نريد تحليل بنية الاستقرار أو الوضعية الدفاعية أو حتى الاتصالات في أي منطقة من مناطق الأندلس.

ضمن جغرافية الأندلس أو شبه الجزيرة الايبيرية الحالية، يمكننا أن نعرف الأسماء كثيرة الاستعمال والتي نجدها في المصادر العربية مثل أسماء القلاع والجيوب الدفاعية وغيرها من المنشآت والمواقع، واستمرت هذه التسميات غامضة إلى حد ما ولفترات طويلة؛ لأنها كانت نتاج ثقافة عربية واسعة ومتميزة بخصوصيتها، إضافة إلى ما تمازج معها من ثقافات أخرى[3] مثل الإرث البربري وما نتج عن هذه البوتقة من لهجات محلية خاصة بالأندلس مثل اللغة الرومنسية التي كانت سائدة في ذلك الزمن، أضف إلى ذلك ما حدث

بعد نهاية الوجود الإسلامي من تغيير جذري للغة والثقافة السائدة في المنطقة، فأدى كل ذلك إلى ظهور أكبر عدد من الأسماء الجغرافية ذات الأصل الأندلسي، وكلها تشهد على وجود هذه الفضاءات الدفاعية، وتتوافق أغلب أسماء هذه المواقع الجغرافية للحصون أو الأبراج مع البقايا الموجودة حاليا في شبه الجزيرة الايبيرية، وبعضها لا يتوافق في حالات أخرى كثيرة، وفي هذه الحالة ستكون قيمتها العلمية كبيرة جدا وذلك لأنها ستزودنا بالمعلومات الدلالية، وقد نتمكن من تحديد أماكنها الجغرافية، وفي نفس الوقت ستقدم لنا البيانات الزمنية المناسبة عن الفترة التي أنشئت فيها.

أما التحليل الدلالي للأسماء التي أطلقت عليها المصادر العربية مختلف عناصر التحصينات، أو ما كان مخفيا وراء كل اسم من هذه الأسماء فهو سيكون بلا شك عملا كبيرا جدا ويتجاوز هذا المقال، وما لا شك فيه هو أنه خلف كل تسمية من التسميات الطوبونيمية، يختبئ معنى دقيق ومعبر على الرغم مما قد يحدث عليه من تغيرات في كثير من الأحيان على مدار القرون التي تعاقبت فيها مختلف الدول التي قامت على أرض الأندلس.

وفيما يلي الأصول المختلفة وأسماء العناصر المختلفة للفضاءات الدفاعية وبعض أسماء الأماكن التي كانت في الأندلس:

الحصن: أحد أكثر الكلمات شيوعًا للفضاءات الدفاعية هو ***ḥiṣn*** حص، جمع حصون، وهي من التحصين، وهو مكان يخضع لحراسة جيدة، يرد ذكره على نطاق واسع في المصادر العربية، وهو اسم شائع ذو أصل عربي أدى إلى ظهور أسماء أماكن كثيرة بنفس الصيغة في جميع أنحاء العالم الإسلامي، وتتعدد الفضاءات المصنفة على أنها حصن في الأندلس بشكل كبير جدا، حيث تصادفنا كثيرا في المصادر الأندلسية والمغربية، ويعرفه الباحث ليفي بروفنسال على أنه قلعة محصنة بها صهاريج لتخزين المياه[4] وبعض الأسلحة ومخازن للمواد الغذائية وبعض أماكن الإقامة الأساسية[5].

كما يعرفه GROOM, N على أن الحصن هو منزل محصن، أو مكان محصن؛ وهو المكان الذي لا يمكن الوصول إليه من الداخل؛ أو مدينة محصنة، وهو مكان مرتفع جدًا بحيث لا يمكن الوصول إليه[6]

ومن ضمن هذا المثال تتوفر لدينا في منطقة جيان Jaén Iznatoraf أمثلة كثيرة عن الحصون الأندلسية التي توفر الكثير من الدلالات الطوبونيمية مثل Ḥiṣn al-Ṭurāb ، أي حصن التراب، والذي يقع بالضبط في منطقة قلعة بولبو castillo del polvo، وهو الفضاء الدفاعي الذي قام بدراسته الباحث J. Oliver Asín دراسة مستفيضة، والذي ذهب إلى تفسيره بأنه اسم علم لا يحمل أي دلالة طبونيمية من حيث الاسم[7]، وهو ما نرى أنه من عدم الصواب فيما ذهب إليه، حيث أنه من خلال الاسم يعطي لنا إشارة بأنه ليس اسم علم، وإنما يوحي الاسم بالجانب الطوبوغرافي المؤثر على التسمية، حيث أنه قد يكون بني فوق مرتفع رملي أو أنه كان محاطا بسور رملي بقصد الحماية، وهو ذات الأمر الذي نجد له العديد من الإشارات عند الإدريسي[8].

وفي الكثير من التسميات التي تعود إلى حصون حدثت لها العديد من التغيرات ومن أمثلة ذلك: Aznalfarache وهي تعني حصن الفرس ويقع ضمن قلعة castillo del miradero ضمن اشبيلية، وهو الحصن الذي تناوله الباحث المتخصص توريس بالباس[9].

كما نجد أيضا حصن Iznalloz أي حصن اللوز في castillo del almendro ضمن غرناطة وحصن Aznalcázar أي حصن القصر ضمن fortaleza del parador في إشبيلية، وكذلك Aljucén بمعنى الحصين، ويقع ضمن el castillejo في مدينة بطليوس "Badajoz"، ومنطقة Aznaití أي حصن التين وتقع ضمن

منطقة castillo de la higuera في مدينة جيان، وأيضا نجد منطقة Iznájar والتي تعني حصن العشار، وتقع ضمن منطقة castillo de la alegría ضمن مقاطعة قرطبة[10].

القلعة: ويرد هذا الاسم في الكتابات الإسبانية بلفظ "a'al-qal" وهو اسم ذو هوية شرقية أخذه الأندلسيون ضمن تسمياتهم المتداولة من القافة العربية المشرقية، وهو في الغالب بناء يمتاز بالضخامة عن طريق الحجارة الكبيرة، يستعمل كفضاء للحماية والدفاع، ومن الناحية المرفولوجية فهو بناء يتمتع بالبروز والظهور الكبير على سطح الأرض، حيث يكون أشبه اليوم بما نسميه الثكنة العسكرية[11].

وتتعدد الأمثلة حول تسمية القلعة من خلال الكلمات والتسميات المتداولة إلى حد الآن في أبجديات اللغة الإسبانية في شبه الجزيرة الايبيرية، ومن بينها منطقة alcalás في إقليم بلنسية، وكذلك منطقة Vall Alcalà'd في مدينة أليكانتي الحالية، والعديد منها في كل من سرقسطة أي Zaragoza الحالية وغرناطة وإشبيلية وقادش Cádiz وغيرها الكثير.

ومن بين الأمثلة البارزة لاسم القلعة من التسميات الحالية نجد Calatrava وهي في الأصل تسمية قلعة رباح وهي أشبه بالمدينة الحقيقية، وهي التي بنيت على ضفاف نهر غواديانا Guadiana، وسميت على مؤسسها علي بن رباح اللخمي، وهي عبارة عن مدينة عسكرية تقع على الطريق بين قرطبة وطليطلة الحالية، كما نجد من الأمثلة أيضا Calatayud وهي تعود لتسمية قلعة أيوب في مدينة سرقسطة Zaragoza الحالية، وهي التي أسسها أيوب بن حبيب اللخمي والذي أقامها حصنا لحراسة الطريق من مدينة طليطلة إلى سرقسطة، ومن القلاع أيضا نذكر Calatalifa والتي هي في الأصل تعود إلى التسمية الأصلية قلعة الخليفة، وهي القلعة التي كانت تمثل قوة كبيرة لحماية مدينة مجريط أو مدريد الحالية، وتقع على مسافة على الطريق من طليطلة إلى قشتالة القديمة[12].

وفي هذا السياق يذهب الباحث ليفي بروفنسال إلى أن اسم القلعة في الأندلس غالبا ما يأخذ اسم مؤسسها الأول[13]، ومن الحالات القليلة جدا والتي تشذ عما يذهب إليه ليفي بروفنسال وهي قلعة Calatorao، والتي يعني اسمها قلعة التراب، وهي التي تقع في مدينة سرقسطة Zaragoza، وكذلك قلعة Calatañazor وهي التي تعني حسب الباحثة Huici Miranda قلعة النسور[14]، هذا على الرغم من أنها تبدو أقرب إلى تسمية قلعة الناظور، وهي التسمية الأكثر شيوعا، وتعني القلعة الحارسة، والتي تراقب وتحمي الممر، وهو ما سنتطرق إليه في العناصر القادمة.

كما استعمل الأندلسيون لفظ القليعة كتصغير لتسمية القلعة، وهو حسب ما يذهب إليه الباحث J. D. Latham أنه يعني هو اسم عدد معين من البلدات الصغيرة، أو الصغيرة نسبيًا، والتي يبدو أن أهميتها تكمن فقط أو بشكل أساسي في الاستخدام العسكري الذي توفره[15]، ونفس التسمية "القليعة" كانت تتكرر في العديد من الأمثلة لطبونيميا أسماء الأماكن في شبه الجزيرة الايبيرية مثل: Alcolea، والتي تقع شمال مدينة برجا Berja على الطريق المؤدي إلى غرناطة، وكذلك في العديد من المدن والنواحي الإسبانية الحالية مثل: المرية وادي الحجارة Guadalajara وأيضا مدينة Huesca وإشبيلية وعلى ضفاف نهر التاجو في مدينة طليطلة.

ومن بين التسميات للفضاءات الدفاعية التي تصادفنا ضمن منطوق التسميات المتداولة في شبه الجزيرة الايبيرية حاليا نجد: *Qalaḥurra* أي قلحر، ويذهب الباحثون إلى أن هذه التسمية مرادفة لمصطلح alcazaba أي القصبة، وفي هذا يذهب الباحث ليفي بروفنسال إلى القول بأنها تعني قلعة القلاع أو مدينة المدن[16]، كما يمكن أن تدل من الناحية الطبونيمية على الأبراج المتميزة والبارزة في بعض الحصون والقلاع[17].

وفي القرون الأخيرة من تاريخ الأندلس، وفي عصر مملكة غرناطة كان لها أيضًا معنى "البرج": هكذا تسمى في آثار قصر الحمراء[18]، ويتداول هذا الاسم "Calahorra" بشكل كبير في منطقة La Rioja من بين

الأسماء الجغرافية الرئيسية الأكثر انتشارا، كما يتواجد نفس الاسم أيضا في مقاطعة غرناطة[19]، كما احتفظت بعض التحصينات أيضًا بلقب Calahorra، كما هو الحال في إلتشي Elche وغيرها من المناطق الأخرى.

القصبة: أي حسب المنطوق المتداول حاليا في شبه الجزيرة الايبيرية alcazaba، وقد انتقل إلى الإسبانية والكتالونية كاسم شائع ومتداول للإشارة إلى فضاء دفاعي أو إلى السياج العسكري للحامية المرصودة للدفاع عن المدن الأندلسية، وهو يكون في الغالب من ناحية التخطيط الحضري ضمن الأماكن التي يصعب الوصول إليها، أو في المناطق المرتفعة من الناحية الجيومرفولوجية[20].

بالإضافة إلى الوظائف العسكرية التي كانت تقوم بها القصبة في التاريخ الأندلسي، فإنها كانت تضطلع بأدوار ووظائف أخرى: كالأدوار السياسية والإدارية، فتكون في الغالب مقرًا للسلطة الإدارية أو العسكرية أو كلاهما، وفي بعض الأحيان كانت أيضًا مركزًا اقتصاديًا ودينيًا؛ ويرجع ذلك إلى موقعها المرتفع والمحصن بالمقارنة إلى باقي المواقع في المدن، فصبغتها الدفاعية كانت توفر مكانا آمنا للسلطة السياسية ضد التهديدات الخارجية أو الداخلية، حيث تحميهم من الثورات والانقلابات التي تحدث في غالب الأحيان.

الصخرة: أو "Azagra" وهي تسمية من تسميات الفضاءات الدفاعية المتداولة كثيرا في الأندلس، وهي مازالت مستعملة إلى حد الساعة في اللغة الإسبانية لعدد من المواقع، وتعني "الصخرة المحصنة"، وهي نقطة دفاعية أقل أهمية من تلك المذكورة أعلاه أي "القصبة"، ويكون موقعها الأساسي في العادة أعلى المنحدرات الصخرية العالية، لهذا السبب لم يكن لها امتدادً كبيرً من ناحية البناء، ويمكن اعتبارها أصغر المناطق المحصنة من حيث الأهمية والحجم، ففي بعض الأحيان تتوفر على سور، هذا على الرغم من أنه لا يحيط بالموقع بالكامل، ويحتوي من حيث البناء على برج وصهريج لتخزين المياه في أغلب الأحيان[21].

وتتمثل أهمية هذا الموقع الدفاعي كمنارة أو برج للمراقبة، وهذا للطبيعة المورفولوجية التي تسهل هذه الوظيفة، وعليه فإن الدلالة الطبونيمية للتسمية أنها كانت مشتقة من الوظيفة والوضعية البنائية لهذا الفضاء الدفاعي، ورغم ذلك فإنه على حسب الموقع والوضعية الأمنية التي تمر بها الدولة القائمة في الأندلس في تلك الفترة، فإن هذا الفضاء الدفاعي يمكن أن يحتوي على حامية مؤقتة أو دائمة، وذلك راجع إلى الوضعية الاستراتيجية التي يكتسيها كفضاء دفاعي متقدم نسيا.

وقد تفرع من هذا الاسم مع مرور الزمن فترة الوجود الإسلامي وما تلاها من عهود من سيطرة النصارى على المنطقة إلى العديد من الأسماء التي تعود إلى نفس الأصل، مثل: Azagra، في نافارا Navarra، أو Zagra، وكذلك Zujaira أي "صخيرة" وتعني تصغير لكلمة صخرة، ونجد لهذا مثالا يقع في مقاطعة غرناطة وهو: Zujaira.

ومن خلال طوبونيمية هذا الاسم للفضاء الدفاعي يذهب الباحث f. Hernández إلى ربط عدد من أسماء المواقع باسم الصخرة، ويجعلها من عائلة طبونيمية واحدة، وهي: Zafra ولها العديد من الأمثلة في الأندلس مثل التي تقع في وادي الحجارة Guadalajara وكوينكا Cuenca ومدينة جيان ومنطقة Daroca و Montánchez و Alburquerque وأليكانتي Alicante وبلنسية Valencia وغيرها من المواقع الأخرى، ومن بين الأسماء التي يعتبرها من نفس العائلة أيضا نجد: اسم Zafrilla والذي يقع في منطقة Badajoz، وأيضا اسم Zafrón في مدينة Salamanca، واسم Zafroncillo في سلمنكا كذلك، وأيضا اسم Zafranguilla في مدينة بلد الوليد Valladolid، ويضاف إليهم اسم Zafara في منطقة Zamora ، وكذلك اسم Safara و Zafarejo والذين يقعان في منطقة Alemtejo في ونهر Ardilla في البرتغال[22].

البرج: واسمه المتداول حاليا al-burŷ، وهو من التسميات الأكثر شيوعا للفضاءات الدفاعية في الأندلس، ويكون من ناحية الشكل إما بناء معزل مرتفع، أو قد يكون ضمن سور دفاعي كامل، وهذه التسمية

من الناحية الطبونيمية قديمة جدا، حيث يذهب الباحث G. S. Colin إلى أنها تعود إلى اللغة اليونانية، ثم تم تداوله في اللغة اللاتينية في شكل صيغة burgus [23]، ووفقا للباحث M. Guichon، فإن الأبراج المربعة أو المستطيلة والتي يمكن الوصول إليها من خلال باب مرتفع على الأرض، وتتشكل من ناحية البناء من عدة طوابق، كانت منتشرة على نطاق واسع في العصر الروماني، وبالضبط خلال القرن الثاني الميلادي، وعليه كان أن اسم burgus شائعا كتسمية لهذه الأبراج، وهو ذات الاسم الذي انتقل إلى اللغة العربية باسم "برج"[24].

ومن هنا يمكننا القول بأن البرج هو بناء دفاعي عسكري أشبه بالقلعة[25]، ويستخدم هذا المصطلح أيضًا "البرج" لتسمية الأبراج التي تميز أسوار المدن وتقسيماتها والتي هي مثل: برج؛ حصن؛ قلعة؛ جرف؛ قمة[26]، وأدت هذه التسمية إلى ظهور تسميات عديدة مشتقة أو متحولة منها، ومن بينها Alborache وتعني البرج الصغير، Alboraya أو البريجة وهي تصغير للبرج، ومثال ذلك الموجود في مدينة بلنسية، وكذلك Alborayet أي البريط في مدينة مايورقة Mallorca، و al-burŷ في سرقسطة Zaragoza، وأيضا Borge في مالقة Málaga و Borja في سرقسطة، و Burch في مدينة Lérida، و Borrox وهو برج في مدينة طليطلة، و Borjabad والتي تعني برج عباد، وكذلك Bujalaro أي برج هارون، وهو الذي يقع في منطقة وادي الحجارة Guadalajara، كما نجد أيضا تسمية برج Bujalaroz أي برج العروس والذي يتواجد في مدينة سرقسطة Zaragoza، وبرج Bujarrabal وهي تعني برج الربض أي الحي في هو الذي يتواجد في منطقة وادي الحجارة Guadalajara، وأيضا برج Burjasot وهي في الأصل تعني برج السد في مدينة بلنسية Valencia[27].

المنارة: وتكتب في اللغة الإسبانية Al-manāra، وهو فضاء دفاعي انتشر وجوده في الأندلس، ويستعمل للمراقبة أو لإعطاء الإشارات من بعيد، يعرفه الباحث Groom على أنه: مكان نور أي منارة. مئذنة؛ علامة لتوضيح الطريق؛ علامة حدودية أو بنك[28]، ويوجد هذا الاسم إلى حد الآن في كثير من مناطق شبه الجزيرة الايبيرية مثل: Lérida واشبيلية وسلمنكا Salamanca وبلد الوليد Valladolid[29].

الناظور: هناك سلسلة من الأسماء الطوبونيمية والتي هي مشتقة من الجذر "نظر" أي "n_ẓ_r" ومعناها "انظر، لاحظ، شاهد"، وقد أدى ذلك إلى ظهور مجموعة واسعة من أسماء الأماكن المتعلقة بأماكن أبراج المراقبة، ومن هذا الجذر اشتقوا: اسم "الناظور"، أي الناظر والمراقب والملاحظ، هناك مجموعة كبيرة من الأسماء المشتقة من "البرج العالي الذي يُراقب عليه"، أو "المنارة"، ومن بينها مكان Nador والذي يقع بالقرب من مدينة مليلية، وكذلك Ṭaraf al-Nāẓūr أي طرف الناظور أو "رأس المنارة"، كما تتواجد تحت اسم Añador، و Anaón و Andador العديد من الأماكن الأخرى في شبه الجزيرة الايبيرية[30].

ومن نفس الجذر اشتقت تسمية "المنظر" أي "al-manẓar" وهو أيضا مكان للمراقبة والنظر، ويقع مثال على ذلك قرب منطقة Jódar في مملكة غرناطة وقد حدده الباحث M.J. Rubiera على أنه يقع ضمن منطقة Bedmar الحالية[31]، كما جاء استعمال هذا الاسم بشكله المؤنث بصيغة "المنظرة أي al-manẓara"، وهو أيضا يدل على مكان عال يستخدم للمراقبة والنظر للأغراض الدفاعية، وفي هذه الحالة هناك ذكر لمكان بالقرب من مدينة إشبيلية Manẓarat al-Funt أي منظرة النافورة، ومنها كان اشتقاق كلمة al-nāẓira أي الشخص الذي ينظر[32].

الطليعة: على نفس الأسلوب من التفسير، هناك أسماء جغرافية عديدة تشير أيضًا إلى وجود هذه العناصر المختلفة للفضاءات الدفاعية، ومن بينها نذكر: Atalaya وأصلها الطليعة، ويقصد بها المكان العالي للمراقبة أو الملاحظة كما أنها توحي إلى الشيء المتقدم للاطلاع في الحالات الدفاعية، وجمعها طلائع.

من خلال ما سبق: نذهب إلى التأكيد على الدرجة العالية والأهمية المطلقة التي تكتسيها الدراسات الطبونيمية كإضافة لعلم التاريخ، خاصة الأندلسي في هذا الموضوع الذي نتناوله، فمثل هذه الدراسات تقدم للباحث في علم التاريخ، الكثير من الإجابات الشافية للعديد من الأشياء الغامضة، والتي لا تقدم فيها كتب التاريخ الكلاسيكية ولا حتى كتب النوازل إجابات شافية، ومما نلاحظه في هذا المجال أن هذا الفرع من العلوم غائب بشكل كبير في الدراسات العربية على الأقل ضمن التاريخ الأندلسي، وعلى العكس من ذلك فقد لاقى هذا الفرع من الدراسات اهتماما كبيرا من قبل المستشرقين، وخاصة ما تعلق منه بالدراسات المنجزة باللغة الإسبانية، ورغم ذلك فإننا نجد شيئا من التبرير لهذه الوضعية، وهي أن مثل هذه الدراسات تحتاج من الباحث أن يكون قريبا ولفترات طويلة من الزمن ضمن النطاق الجغرافي المراد دراسته، وأكثر من ذلك فمن الواجب عليه أن يتعمق في دراسة اللغة الإسبانية بإرثها المحلي، حيث أن هذه الوضعية تقدم العديد من الامتيازات التي تتعلق باكتشاف الأسماء المتداولة في ذلك النطاق.

قائمة المصادر والمراجع:

1- الإدريسي أبو عبد الله محمد، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، ط 1، 1989م.

2- بن موسى محمد، حاج سعد سليم، مصادر المياه ووسائل الري وأماكن التخزين في المغرب الأوسط، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد 03، العدد 01، جوان 2019م.

3- سليم حاج سعد، تطور المنزل الأندلسي حتى نهاية عصر الموحدين، مجلة عصور الجديدة، المجلد 10 العدد 04، ديسمبر 2020م.

5- سليم حاج سعد، العرب والبربر في مملكة غرناطة في عصر بني الأحمر، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد 02، العدد 02، ديسمبر 2018م.

6- Colin - G-S. Sourdel-Thomine. Terrasse, Burdj in Encyclopédie de l'Islam, Vol- I. Leiden, Paris. Maisonneuve et Larose, 1960.

7- GROOM, N, A Dictionary of Arabic Topography and Placenames, Beirut, Librairie du Liban, Longman Group Limited, 1983.

8- Guichon- M. Towers in the limes Palestina, Forms, Purpose terminology and comparisons, Congrés International d'Études sur les Frontières Romaines, Mamaïa, IX. 1972.

9- Hernandez - Jiménez. Sobre el topónimo Zafra, Al-Andalus, Madrid-Granada. C S I C. n 7. 1942.

10- Huici Miranda, A, Al-Ḳal'a in Encyclopédie de l'Islam, (2 édition), Vol- IV, Leiden.Paris, E.J. Brill - Maisonneuve et Larose, 1973.

11- Jiménez - Hernández, Burŷ Al-Ḥamma - Burgalimar. Castillo de Banos de la Encina, Al-Andalus, Madrid-Granada, C S I C, n 5, 1940.

12- Latham, J.D, Al-Ḳulay'a- in Encyclopédie de l'Islam, (2e édition), Vol. V, Leiden- Paris, E.J. Brill / Maisonneuve et Larose, 1979-1985.

13- LÉVI, PROVENÇAL, España musulmana hasta la caída del Califato de Córdoba, Instituciones y vida social, Vol V, de la Historia de Espana, Madrid, Espasa Calpe, 1973.

14- Mª J. Rubiera, "Toponimia aràbigo-valenciana: falsos antropónimos beréberes", *Miscel*A*lània Sanchis Guarner*, Valencia, 1984, espec.

15- Mª J. Rubiera, *Villena en las calzadas romana y árabe*, Villena-Alicante, 1985.

16- Oliver Asín, J, En torno a los orígene de Castilla- Su toponimia en relacion con los arabes y los beréberes- Discurso leido para el Ingreso en la Real Academia de la Historia, Madrid,

Real Academia de la Historia, 1975. la revista Al-Andalus. Madrid-Granada, C.S.I.C, n 49, 1974.

17- Palacios – Asín. Contribucion a la toponimia árabe de Espana, Madrid, las Escuelas de Estudios Árabes de Madrid y Granada. 1944.

18- Rubiera – Mata. M. Tres toponimos en la frontera granadina. Al-Andalus. Madrid-Granada. C S I C n 32-1. 1967.

19- Terés - E, An-Nāẓūr. Al-Manẓar y An-Naẓra en la toponimia hispanoarabe. Al-Andalus. Madrid-Granada, C S I C, n 37-2. 1972.

20- Torres Balbas, Leopoldo. Alnalfarache = Ḥiṣn al-Fara, *Al-Andalus* ,Madrid. Granada. Ed. C.S.I.C, n 25-1. 1960.

الهوامش:

[1]- Mª J. Rubiera, "Toponimia aràbigo-valenciana: falsos antropónimos beréberes", *Miscel Alània Sanchis Guarner*, Valencia, 1984, espec. p. 320

Mª J. Rubiera, *Villena en las calzadas romana y árabe*, Villena-Alicante, 1985, espec, p 8.

[2]- أنظر: سليم حاج سعد، تطور المنزل الأندلسي حتى نهاية عصر الموحدين، مجلة عصور الجديدة، المجلد 10 العدد 04، ديسمبر 2020م.

[3]- سليم حاج سعد، العرب والبربر في مملكة غرناطة في عصر بني الأحمر، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد 02، العدد 02، ديسمبر 2018م، ص 207.

[4]- بن موسى محمد، حاج سعد سليم: مصادر المياه ووسائل الري وأماكن التخزين في المغرب الأوسط، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد 03، العدد 01، جوان 2019م، ص101.

[5]- LéVI, PROVENÇAL, España musulmana hasta la caída del Califato de Córdoba, Instituciones y vida social, Vol V, de la Historia de Espana, Madrid, Espasa Calpe, 1973, (3, ed), p 36.

[6]- GROOM, N, A Dictionary of Arabic Topography and Placenames, Beirut, Librairie du Liban, Longman Group Limited, 1983, p 112.

[7]- Oliver Asín, J, En torno a los orígene de Castilla- Su toponimia en relacion con los arabes y los beréberes- Discurso leido para el Ingreso en la Real Academia de la Historia, Madrid, Real Academia de la Historia, 1975, la revista Al-Andalus, Madrid-Granada, C.S.I.C, n 49, 1974, p 31.

[8]- الإدريسي أبو عبد الله محمد، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، ط 1، 1989م، ج 2، ص 668.

[9]- Torres Balbas, Leopoldo, Alnalfarache = Ḥiṣn al-Fara, *Al-Andalus* ,Madrid. Granada, Ed. C.S.I.C, n 25-1, 1960, pp 222-224.

[10]- Palacios Asín, M, Contribucion a la toponimia arabe de Espana, Madrid, las Escuelas de Estudios Árabes de Madrid y Granada, 1944. p 65, 72, 80, 113.

Lévi Provençal, Espana musulmana, hasta la caída del Califato de Cordoba, Instituciones y vida social, Vol- V. de la Historia de Espana, Madrid, Espasa Calpe, 1973, (3. ed), p 35.

[11]- Groom, N. A, Dictionary of Arabic Topography and Placenames, Beirut, Librairie du Liban, 1983, p 225.

[12]- Torres- Balbas, L. Ciudades, yermas hispanomusulmanas, Madrid, Editorial Maestre, 1957, pp 42-48.

[13]- Lévi. Provençal, Espana musulmana, hasta la caída del Califato de Córdoba, Instituciones y vida social, Vol V. p 35.

[14]- Huici Miranda, A, Al-Ḳal'a in Encyclopédie de l'Islam, (2 édition), Vol- IV, Leiden.Paris, E.J. Brill - Maisonneuve et Larose, 1973, p488.

[15]- Latham, J.D, Al-Ḳulay'a- in Encyclopédie de l'Islam, (2e édition), Vol. V, Leiden- Paris, E.J. Brill / Maisonneuve et Larose, 1979-1985, p 362.

أنظر أيضا:

Huici - Miranda, A, Al-Ḳal'a- in Encyclopédie de l'Islam, (2 édition), Vol- IV, Leiden-Paris, E.J. Brill - Maisonneuve et Larose, 1973, p 488.

[16]- Lévi. Provençal, Espana musulmana hasta la caída del Califato de Córdoba. Instituciones y vida social, Vol. V - p 39.

[17] Terés- E, Viguera M J, Sobre las calahorras. Al-Qanṭara, Vol- II, Madrid. C.S.I.C, 1981, p 265.

[18] Rubiera - Mata, M J, Los poemas epigráficos de Ibn al-yayyab en la Alhambra, Al-Andalus. Madrid, Granada, C.S.I.C- n. 35. 1970. p 453.

[19]- Terés. E- Viguera M. Sobre las calahorras. Al-Qanṭara. Vol- II, Madrid, C S I C, 1981, p265.

[20]- Epalza - M, Un modelo operativo de urbanismo musulman, Sharq Al-Andalus, Estudios Árabes, Alicante, Universidad de Alicante, n 2, 1985, p145-146.

أنظر أيضا:

Groom – N, Dictionary of Arabic Topography and Placenames, p 227-228

[21]- Lévi. Provençal, Espana musulmana hasta la caída del Califato de Cordoba. Instituciones y vida social, Vol- V, p 37.

[22]- Hernandez – Jiménez, Sobre el topónimo Zafra, Al-Andalus, Madrid-Granada, C S I C, n 7, 1942, p 113-114.

[23]- Colin - G-S, Sourdel-Thomine, Terrasse, Burdj in Encyclopédie de l'Islam, Vol- I, Leiden, Paris, Maisonneuve et Larose, 1960, p 1355.

[24]- Guichon – M, Towers in the limes Palestina, Forms, purpose terminology and comparisons, Congrés International d'Études sur les Frontières Romaines, Mamaïa, IX, 1972, p 516.

[25]- Jiménez - Hernández, Burŷ Al-Ḥamma – Burgalimar, Castillo de Banos de la Encina, Al-Andalus, Madrid-Granada. C S I C, n 5, 1940, p 433.

[26]- Groom - N, Dictionary of Arabic Topography and Placenames, Beirut. Librairie du Liban, 1983, p 64.

[27]- Palacios – Asín, Contribucion a la toponimia árabe de Espana, Madrid, las Escuelas de Estudios Árabes de Madrid y Granada, 1944, p 49.87.88.

[28]- Groom – N, A Dictionary of Arabic Topography and Placenames, Beirut, Librairie du Liban, 1983, P 172.

[29]- Groom – N, p 172.

أنظر أيضا: Palacios – Asín, p 68

[30]- Terés - E, An-Nāẓūr, Al-Manẓar y An-Naẓra en la toponimia hispanoarabe. Al-Andalus. Madrid-Granada, C S I C, n 37-2, 1972, p 326, 327.

[31]- Rubiera – Mata. M. Tres toponimos en la frontera granadina, Al-Andalus, Madrid-Granada, C S I C n 32-1, 1967, p 219.

[32]- Terés- E, An-Nāẓūr, Al-Manẓar y An-Naẓra en la toponimia hispanoárabe, p 333.